محمد بن الحسين

أبو عبد الله، العلوي، ولَّاه الحاكمُ القضاءَ والنقابةَ والخطابةَ بدمشق سنة ثمانٍ وتسعين وثلاث مئة، وكان في القضاء نائباً عن مالك بن سعيد ابن أخت الفارقي قاضي قُضاة الحاكم، فأقام بدمشق إلى هذه السنة، وتوفِّي في رمضان، وكان طاهراً، عفيفاً، نزِهاً، حافظاً لكتاب الله، وله ديوانُ شعر، [ومن] قوله: [من مجزوء الرمل]

أنـــا إنْ رُمْـــتُ سُـــلُـــوًّا عـــنـــك يـــا قُـــرَّةَ عـــيـــنـــي
كُـــنْـــتُ فـــي الإثـــمِ كَـــمَـــنْ شـــا رَكَ فـــي قَـــتْـــل الـــحُـــســـيـــنِ[1]

السنة العاشرة وأربع مئة

فيها جلس القادرُ، وحضر القضاةُ والشهودُ، وكتبَ عهدَ أبي الفوارس على كَرْمان وأعمالِها، وبعثَ إليه الخِلَع السلطانية، على ما جرت به العادة.

وفيها ورد كتابُ [يمين الدولة أبي القاسم] محمود بن سُبُكْتِكين على الخليفة بما فتحه من بلاد الهند ووصل إليه من غنائمهم، ومن مضمونه: أنه نظر فأدَّاه البحثُ والتفحيص إلى مملكةِ وَجّ، وهي أفخمُ بلاد الهند شأناً، وأحكمُها بُنْياناً، وكانت مملكةَ مَنْ سلفَ من ملوك الهند، ومن جملة كُوَرِها كورةُ وَرام وهودب وكلجند ... وذكَرَ كُوَراً كثيرة، وقال: ولهم قلاعٌ حصينة، وجنودٌ كثيرة، وهم يعتقدون أنَّ الأصنامَ آلهَتُهم، وذكر أنه رتب ابنَ خاله في الثُّغور، فبعث إلى المولتان عشرةَ آلاف فارس ومثلَها راجل، وإلى خُوارَزم عشرين ألف فارس وعشرين ألف رجل، وانتخب ثلاثينَ ألف فارس وعشرة آلاف راجل[2] لصحبة راية الإسلام، كلُّهم طُلَّابٌ للشهادة، وجماعةٌ من المُطَّوعةِ، وكان مسيرُه من خُراسان في جمادى الأولى سنة تسع وأربع مئة، ولم يزَلْ سائراً حتى قطعَ أنهار سَيْحون، وجعلها وراءه، وفتح قلعةَ سرساوة،

(١) في (خ): فأنا الغر ممن سره... والمثبت من يتيمة الدهر ١/ ٢٢٧، وقرى الضيف ٢/ ٢٤٥، والبيتان فيهما منسوبان للخَبَّاز البلدي.

(٢) في (ف): فارس.

وهرب ملكُها، وأسلم مِنْ أهلها زُهاءَ عشرين ألفاً، وأخذ من أموالها ألفَ ألفِ درهم، وثلاثين فيلاً، وجواهرَ كثيرةً ... وذكر فتوح القلاع والبلاد إلى أن قال: فأتينا مدينةً يُقال لها: عائن، وحولها ألفُ قصر، وألفُ بيتٍ للأصنام، وهي مدينةٌ كبيرةٌ لها سبعةُ أبواب، [عدد أبواب الجحيم، وكان سكَّانها في العذاب الأليم، حتى] كأنَّها منحوتةٌ من حجرٍ واحد [ومصنوعةٌ من صخرٍ جامد] فلمَّا فتحت أبوابها وجدنا فيها خمسةَ أصنامٍ من الذهب، طولُ كلِّ صنمٍ تسعةُ أذرُع، وجْهُ كلِّ واحدٍ منهم مثلُ وجهِ أسدٍ عظيم، له نابان مثلُ ناب الخنزير، وعيونُهم من الياقوت الأحمر، وكلُّ أبدانهم مُرصَّعةٌ بالجواهر، وبلغ وزنُ ياقوتةٍ منها ستَّ مئةِ مثقال، ووُزِنَ[1] منها صنمٌ فوُجِدَ فيه ثمانيةٌ وتسعون ألف مثقال وثلاثُ مئة مثقال، وقُلِعَ من الأصنام الصغار الفضية زيادةً على ألف صنم. قال: ومُلِئت بيوتُ المدينة بالحطب، وأُضرِمَتِ النارُ فيها [بضرام اللَّهب، وتقرّر عند عُبَّاد الأصنام أنَّهم كانوا في ضلالٍ مبين، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين].

ثم ذكر أنه سار إلى مركز فَرْغانة، وأنه فتحها وفتح قلاعها، ثم قال: وتحصَّل من الغنائم عشرون ألف ألف درهم، وأفرد خمس الرقيق، فبلغ ثلاثةً وخمسين ألفاً و[استعرضَ] ثلاثَ مئةٍ وستين فيلاً، وذكر أشياء كثيرة[2].

وفيها توجَّه ابنُ سهلان إلى البصرة، قد ذكرنا أنه خرج إلى[3] الحائر، وأقام بقصر ابن هُبيرة مدَّةً، فلمَّا دخل سلطان الدولة بغداد مضى إلى الأنبار، واجتمع مع معتمد الدولة أبي المنيع، وأخذ ذِمامَه وكتب إلى بغداد، واجتهد في إصلاح أمره مع أبي الخطاب، وأمَرَه أن يصعد إلى هِيت ويُقيم بها؛ خوفاً عليه، فطال مُقامُه، فأصعد إلى الموصل، وقُبِضَ على الوزير أبي القاسم جعفر بن محمد بن فَسانْجِس، واستقرَّ الأمرُ لأبي غالب، فانحدر ابنُ سهلان في الفرات إلى البَطيحة، وركب أخطاراً

(١) في (خ): فوجد، والمثبت من باقي النسخ.

(٢) ينظر المنتظم ١٥/ ١٣٣ - ١٣٤. وما بين حاصرتين منه.

(٣) في (ف): من.

عظيمةً، ولمَّا قَرُبَ منها راسل الشرابيَّ صاحِبَها، فأخرج إليه الجندَ والحاشيةَ، ولم يخْرُجْ إليه بنفسه؛ مراعاةً للسلطان، وأنزله معه في داره، فقيل له: قد علمتَ حالَ هذا الرجلِ ومكانتَه، وقد عزَّ[1] عليه كونُكَ ما استقبلْتَه، ومن المروءةِ أن تنهض إلى الحُجرة التي أنزلْتَه فيها وتقضي حقَّه. فقام، ودخل إليه، فجلس قليلاً وخرج، وإذا بحاجبٍ قد وردَ من بغداد في معناه، فقال: سلطانُ الدولةِ والأميرُ وأبو الخطابِ والوزيرُ يقولون: قد انحدرَ ابنُ سهلان من الأنبار طالباً للبَطيحَة، فإن حصل عندك فتحتاط عليه إلى أن ينفذ من يتسَلَّمه، وإن انحدرَ إلى البصرة فأقِمْ له الرَّصَدَ في الطريق، واجتهِدْ في تحصيله، وكانت الرسالةُ مع بختيار حاجبِ الوزير، وهؤلاء المذكورون يُسمَّون المدبِّرون للدولة، فقال لبختيار: قد وصل في هذه الساعة وأنا أنظرُ في أمره.

وانصرف بختيار من حضرته، فقال الشرابيُّ لأصحابه: قد تحيَّرتُ في أمره، إن أسلمتُه كان فضيحةً وقباحةً، وإنْ لم أُسْلِمْه عاديتُ سلطانَ الدولة والمدبِّرين. فلمَّا كان بعدَ أيامٍ وَرَدَ تكين من بغداد رسولاً عن الملك والمدبِّرين والأتراك يطلبون ابنَ سهلان، فتحيَّر الشرابيُّ، وجمع إليه وجوه البطائحيين، وقال: ما ترون؟ فقالوا: قد علمتَ أنَّ ناموس بلدنا هذا أنَّ من لجأ إليه واستجار به يُجار، وما جرتِ العادةُ بتسليم مَنْ يحصل عندنا، لا في قديم الزمان ولا في حديثه، فدافع عن الرجل، وعرف أبو محمد، فراسله، وقوَّى نفسَه، وعقَدَ لابنه على ابنتِه سرًّا، وتحالفا وتعاهدا، وطلب من الشرابيِّ أن يجمعَ بينه وبين تَكين، فأرسل به إليه، فلمَّا دخل عليه قبَّل الأرضَ كما كان يفعل، وابنُ سهلان صاحبُ الأمر، فلاطفَه ابنُ سهلان، وقال: قد عرفتَ إحساني إليك، فأُريد [أن] تُقبِّلَ الأرضَ عنِّي بين يدي الملك، وتقول: أنا ذلكَ العبدُ الذي لا يتغيَّر، ووالله ما اعتقدتُ سوءاً قطُّ، لا لكَ ولا لغلمان الأتراك، ولستُ أعرف للنُّفرة مني سبباً، إلا قولَ الأعداء وتخرُّصَهم. ثمَّ استمالَه ولاطفَه، فقام تَكين وقد صارَ معه بعد أن كان عليه، وردَّ الشرابيُّ رسالةً إلى بغداد يقول: قد عُرِفَ عادةُ بلدنا في إجارة مَنْ استجار بنا، وما يُمكننا نقضُ هذه السُّنَّة، فإن كان الغرضُ حِفْظَ هذا الرجل ومنعَه من الإفساد فهو في داري كالمعتقل، وما أُمَكِّنُه من أمرٍ تخافه منه.

---

(١) في (ف): عزم!.

وقيل: إنَّ سلطان الدولة نفذَ فرَّاشاً في الباطن إلى صاحب البَطيحَة يوصيه بابن سهلان ويرسم له ترك الالتفات إلى ما يصدر منه في بابه، وقام ابنُ سهلان عند الشرابيِّ على ما يريد، إلى أن قصدَ صدقةُ بنُ فارس البَطيحَةَ وأخذَها، ومضى ابنُ سهلان إلى البصرة، وسببُ أخْذِها أبو الخطاب، فإنه حَقَد عليه، وبعثَ صدقةَ إلى البَطيحَةِ فحصره، وقاتل ابنَ سهلان قتالاً عظيماً، فلمَّا علِمَ سار إلى البصرة في زبزبٍ، فتلقَّاه الدَّيلم وخدموه، وأقام الشرابيُّ معتقلاً عند صدقةَ على أحسنِ حال.

ولم يحجَّ في هذه السنة من العراق أحدٌ.

وفيها تُوفِّي

إبراهيم بن مَخْلَد[1]

ابن جعفر بن مَخْلَد[2]، أبو إسحاق، الباقَرْحي، ولد سنة خمس وعشرين وثلاث مئة، وسمع الحديثَ، وكان صدوقاً، جيِّدَ النقل، حسنَ الضبط، من أهل الديانة والعلم والأدب، وكان ينتحل مذهبَ ابنِ جرير الطبري، وسكن بالجانب الشرقي من بغداد، ومات في ذي الحجة، ودُفِنَ قريباً من أبي حنيفة، ومن شعره: [من البسيط]

ما لي جُفيتُ وعندي عادةٌ لكُمُ ... موفورةٌ من حِباء الجاهِ والمالِ
أعوذُ باللهِ مِنْ حالٍ يُغيِّركُمْ ... أبوءُ منها بسوءِ القصدِ والحالِ
قد أكثرَ الناسُ من عُربٍ ومن عَجَمٍ ... على وليِّكُمُ في القِيلِ والقالِ
هذا يقولُ عصى أمراً لسيِّدِهِ ... أعوذُ باللهِ من زيغٍ وإضلالِ
وذا يقولُ لجُرْمٍ منهُ قابلَهُ ... فقد أطالوا لَعَمْرُ اللهِ بلبالي[3]
واللهُ يشهدُ لي أنِّي أُحِبُّكمُ ... ديانةً ولوَ انَّ الدَّهرَ مُغتالي
وما أُسَرُّ بأنَّ الأرضَ تُجمَعُ لي ... وأنت مُنحرِفٌ عنِّي ولا قالي
إن كانَ ذَنْبٌ فعفوٌ منكَ يغفِرُهُ ... وذاك أسبَقُ في ظنِّي وآمالي

(١) تاريخ بغداد ٦/ ١٨٩ ، والمنتظم ١٥/ ١٣٥ .
(٢) في (خ): إسحاق، والمثبت من مصادر ترجمته.
(٣) البَلْبال: شدة الهم. المعجم الوسيط (بلبل).

فانظُرْ لعبدِكَ لا تُشمِتْ أعاديَهُ بتَرْكِهِ بين إغفالٍ وإهمالِ
واجعَلْ له في ذراك اليومَ منزلةً تُعليهِ إنَّ الذي أعليتَهُ عالي

محمد بن المظفر بن عبد الله[1]

أبو الحسن، المعدَّل، كان فاضلاً، توفِّي ببغداد في جمادى الأولى، قال: أنشدني إبراهيم بن الصابئ لنفسه: [من السريع]

قد كنتُ للجِدَّة مِنْ ناظري أرى السُّها في الليلةِ المقمِرَهْ
فالآنَ ما أُبصِرُ بدرَ الدُّجى إلَّا بعينٍ تشتكي الشَّبْكَرَهْ[2]
لأنَّني أنظرُ منه وقَدْ غيَّرَ منِّي الدَّهرُ ما غيَّرَهْ
ومن طوى السنينَ من عُمرِهِ رأى أموراً فيه مُسْتَنْكَرَهْ
وإن تخطَّاها رأى بعدَها مِنْ حادثاتِ الدَّهرِ ما حيَّرَهْ

[وفيها تُوفِّي]

هبة الله بن سلامة[3]

أبو القاسم، الضرير، [المفسِّر]، البغدادي، كان من أحفظ الناس لتفسير القرآن، وكانت له حلقةٌ في جامع المنصور، وسمع الحديث ورواه، [وكتب عنه الخطيب، وحكى جدّي عنه في «المنتظم» مناماً، فقال بإسناده عن أبي طالب العشاري، عن هبة الله بن عبد الله المقرئ، عن هبة الله بن سلامة المفسِّر] قال: حدَّثني شيخ كنَّا نقرأ عليه القرآن بباب مُحوِّل. قال: مات بعضُ أصحابه، فرآه الشيخُ في المنام فقال له: ما فعلَ اللهُ بِكَ؟ فقال: غفَرَ لي. قال: فكيفَ كان حالُكَ مع منكرٍ ونكير؟ فقال: يا أستاذ، لمَّا أجلساني وقالا لي: مَنْ ربُّكَ؟ ومن نبيُّكَ؟ ألهمني الله بأن قلتُ لهما: بحَقِّ أبي بكر وعمر دعاني. فقال أحدهما للآخر: قد أقسمَ علينا بعظيم[4]، دَعْه. وتركاني وانصرفا.

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٢٦٤، والمنتظم ١٥/ ١٣٧ - ١٣٨.

(٢) الشبكرة: العَشا (مرض في العين). تاج العروس (شبكر).

(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ٧١، والمنتظم ١٥/ ١٣٨.

(٤) في (م١): بعظيمين.

توفِّي في رجب، ودُفن عند جامع المنصور، وكان صالحاً ثقةً[١].

السنة الحادية عشرة وأربع مئة

فيها في المُحرَّم عزَمَ سلطانُ الدولة على الانحدار إلى واسط، فمنعه الغلمان وشغَبوا، وطلبوا ما استحقُّوه من الأقساط، وتكلَّم الناس في أمر شرف الدولة، وأنَّ الغِلمان قد اتَّفقوا على تقليده الأمر، وأُشير على سلطان الدولة باستدعائه إلى داره، والاحتياط عليه، فأرسل إليه، فاعتذر بمرض، وخاف على نفسه، وكان أبو منصور مردوست يتولى النظر في أموره، ولمَّا امتنع من الحضور أرسل إليه بالانحدار إلى واسط، فأجاب وحَطَّ بعضَ رَحْلِه في السفن، فجاء الغِلمان إلى بابه، ومنعوه وردُّوا رَحْلَه إلى داره، وأقام سلطان الدولة على الخروج، فقال له الغِلمان: إذا كنتَ على عزم الخروج فابعَثْ إلى ولدك أبي كاليجار، فاستخلِفه عندنا نائباً عنك، واذهَبْ إن[٢] شئتَ، أو اترُكِ الأمير أبا عليٍّ أخاك بيننا نائباً عنك. فأرسل سلطانُ الدولة إلى شرفِ الدولة في ذلك، فامتنعَ وقال: إذا لم ينهَضْ سلطانُ الدولة بهذا الأمر وهو الملك وربُّ الخزائن، فكيف أنهَضُ أنا مع ضعفي وقصور مادَّتي؟ فألَحُّوا عليه، فأجابَ، واستحلَفَ كلَّ واحدٍ منهما على الوفاء والمخالصة بمحضرٍ من وجوه الدَّيلم والتُّرك، وحلَفَ سلطانُ الدولة للغِلمان على الحراسة لهم، وأن لا يستخدم ابنَ سهلان، وركب شرفُ الدولة إلى أخيه لتسعٍ بَقِين من المُحرَّم، فدخلَ إلى دار المملكة ـ وبين يديه الغلمان والدَّيلم ـ راكباً، ونزل قريباً من الصُّفَّة، وخرج سلطانُ الدولة من القُبَّة ومعه غِلمانُه وحاشيتُه بالعُدَد، وكلُّ واحدٍ منهما يرعد مخافةَ الآخر، فقبَّل الأرضَ شرفُ الدولة، ووقف وِقفةً خفيفةً، ولوى رأسَه، وخرج ودخل سلطانُ الدولة القُبَّة، ومضى العسكرُ مع شرف الدولة، وسار سلطانُ الدولة يوم السبت لخمسٍ بَقِينَ من المُحرَّم إلى واسط، وضُرِبَتِ القبابُ لشرف الدولة، وركب واخترقَ بغداد، ونزل بدار المملكة لثلاثٍ بَقِينَ من المُحرَّم.

---

(١) هذه العبارة جاءت في (خ) و (ف) عقب قوله: سمع الحديث ورواه.

(٢) في (خ): أين، والمثبت من (ف).